

71

قصص الأنبياء

محمد

صلى الله عليه وسلم (15)

الخروج إلى الطائف

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله





بَعْدَ نَقْضِ الصَّحِيفَةِ الظَّالِمَةِ ، وَفَكَ الْحِصَارِ عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ ، وَعَشِيرَتِهِ وَأَصْحَابِهِ ، لَمْ يَسْلَمْ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ
أَذَى ، وَكَانَ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ يَدْفَعُ عَنْهُ الْأَذَى ،

وكانت زوجته خديجة رضي الله عنها تخفف عنه
ما يلاقى من تكذيب الكفار ، وإغراضهم عن
دعوته ..

ولكن خديجة رضي الله عنها توفيت ، وتوفي أبو طالب
بعدها بقليل ، وذلك قبل الهجرة إلى المدينة المنورة
بثلاث سنوات .. وحزن النبي صلى الله عليه وسلم لِمَوْتِهما ، لأن
قريشاً نالت من النبي صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع
فيه في حياة أبي طالب ، لدرجة أن أحد سفهاء قريش
اعترض النبي صلى الله عليه وسلم ، فنثر على رأسه التراب ، ودخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه
إحدى بناته ، وأخذت تغسل عنه التراب ، وهي تبكي ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها :

« لا تبكي يا بنية ، فإن الله مانع أباك » ..

وكان صلى الله عليه وسلم يقول :

« ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات

أبو طالب » ..

ولمّا مرض أبو طالب مرض الموت ،

ذهب إليه أشراف قومه ، وقالوا :

- يا أبا طالب ، إنّك تعلم منزلتك منا ، وقد

حضرك الموت ، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن

أخيك ، فادعّه ، فخذ له منا ، وخذ لنا منه ،

ليكف عنا ونكف عنه ، وليدعنا وديننا وندعّه

ودينه ، فبعث أبو طالب إلى النبی ﷺ ، فلما

جاءه قال له :

- يا بن أخى ، هؤلاء أشراف قومك ، قد اجتمعوا

لك ، ليعطوك ، وليأخذوا منك ..

فقال رسول الله ﷺ :

- « يا عم ، كلمة واحدة يعطونيها ، تملكون بها

العرب ، وتدين لكم بها العجم » .

فقال أبو جهل :

- نعم وأبيك وعشر كلمات ..

فقال ﷺ :

« تَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَتَخْلَعُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ

دُونِهِ .. »

فصَفَّقُوا بِأَيْدِيهِمْ ، وَقَالُوا :

« أَتُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَجْعَلَ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ، إِنَّ

أَمْرَكَ لَعَجَبٌ .. »



ثم قالوا لبعضهم :

- والله إن محمداً لن يعطيكم شيئاً مما تريدون ،
فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله
بينكم وبينه .. ثم انصرفوا ، فقال أبو طالب :

- والله يابن أخي ، ما رأيتك سألتهم شططاً .. (أى
أنك لم تتجاوز القدر وتطلب منهم المستحيل) .
فلما قال أبو طالب ذلك ، طمع النبي ﷺ في إسلامه ،
فاخذ يقول له :

- « أى عم ، فأنت فقلها ، أستحل لك بها الشفاعة
يوم القيامة » ..

فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله ﷺ ، على
إسلامه ونطقه الشهادة ، قال :

- يابن أخي ، والله لو لا مخافة السببة عليك وعلى
بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أنى إنما
قلتها جزعاً من الموت لقلتها ، لا أقولها
إلا لأسرك بها ..

فلما اقترب الموتُ من أبي طالبٍ نظر إليه
أخوه العباسُ ، فلما رآه يحركُ شفّتيه ، قال للنبي ﷺ :
- يابن أخى ، والله لقد قال أحنى الكلمة التى أمرته
أن يقولها ..

فقال النبي ﷺ :

- « لم أسمع » ..

فلما مات أبو طالب نالت قريشٌ من رسول الله ﷺ ،
من الأذى ما لم تنله فى حياة عمه ..

وخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف لاجئاً إلى قبيلة
ثقيف يعرضُ عليهم الإسلام ، ويطلبُ منهم حمايته
من قومه ، ونصرةً عليهم ، ومنعاً أذاهم عنه ..

فلما وصل ﷺ إلى الطائف ، توجه إلى ثلاثة إخوة هم
سادة ثقيف وأشرافهم ، وهم : عبدُ ياليل ، ومسعود ،
وحبيبُ أبناء عمرو بن عمير بن عوف ، فجلس إليهم
رسول الله ﷺ ، ودعاهم إلى الله ، ثم

طلب منهم نصرته على نشر دين الإسلام ..
فقال له أحدهم :

- أنا أمزق ثياب الكعبة ، إن كان الله أرسلك ..
وقال الآخر :

- أما وجد الله أحدا غيرك ليرسله رسولا ؟
وقال الثالث :

- والله لا أكلّمك أبدا ، لئن كنت رسولا من الله ،
كما تقول ، فأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ،
ولئن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن أكلّمك ..
فقام رسول الله ﷺ من عندهم ، وقد آلامه عدم
هداية ثقيف إلى الإسلام .. وقال لهم :

- « إذ فعلتم ما فعلتم ، فاكتموا عني » ..

فقد كره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه خير قدومه
إلى ثقيف ، ورفضهم له ، فيشجعهم ذلك على النيل
منه ، لكنهم لم يفعلوا ، وأغروا به عبيدهم

وصبيانهم وسفهاءهم يسبونهم ويقذفونه بالحجارة ،
حتى اجتمع عليه أهل ثقيف ، فلجأ رسول الله ﷺ
إلى حائط بستان لعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ،
ورجع عنه سفهاء ثقيف ، فجلس رسول الله ﷺ
تحت كرمة عنب يحتمي بها من حر الشمس ، وابنا
ربيعة ينظران إليه ، فلما اطمان ﷺ ، أخذ يدعوه
قائلاً :



اللَّهُمَّ أَشْكُرُ إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ

حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ .. يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ ، وَأَنْتَ رَبِّي ، إِلَى مَنْ تَكَلَّنِي ؟
إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أَمْرِي ؟ إِنْ لَمْ
يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي ، وَلَكِنْ عَافِيَتُكَ هِيَ
أَوْسَعُ .. أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ،
وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ ،
أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ .. لَكَ الْعُتْبَى (الرِّضَا) حَتَّى
تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ ..

فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ ، وَكَانَ لهُمَا
خَادِمٌ نَصْرَانِيٌّ يُدْعَى عِدَّاسُ ، فَقَالَا لَهُ :
خُذْ عُتُقُودًا مِنَ الْعَنْبِ ، فَضَعْنَاهُ فِي هَذَا الطَّبَقِ ،
وَإِذْهَبْ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الْجَالِسِ هُنَاكَ ، فَقُلْ لَهُ
يَا أَكُلُ مِنْهُ ..

فَحَمَلَ عِدَّاسُ الطَّبَقَ وَبِهِ الْعَنْبُ ، وَذَهَبَ إِلَى

رسول الله ﷺ ثم قال له :

- كُلْ ..

فقال رسول الله ﷺ :

- « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

ثم بدأ يأكل ..

فنظر عداسٌ في وجه رسول الله ﷺ ، وقال :

- والله ، إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ..

فقال له رسول الله ﷺ :

- « ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس ؟ وما ديتك ؟ » .

فقال عداس :

- مصراسي من أهل يسوى .

فقال رسول الله ﷺ :

- « من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ »

فقال عداس :

- وما يدريك بيونس بن متى ؟

فقال رسول الله ﷺ :

- « ذاك أحيى ، كان نبيا ، وأما نبي » ..

فمال عداس على رسول الله ﷺ ، وأحد يُقبلُ رأسه
ويديه وقدميه ..

فلما رأى ابا ربيعة ذلك ، قال أحدهما لصاحبه .

- لقد أفسد محمدٌ عليك علامك ..

فلما رجع إليهما عداس قال لهما

- لماذا تقبلُ رأس هذا الرجل ويديه ورجليه ؟ !

فقال عداس :

- ما فى الأرض أحدٌ حيرَ من هذا الرجل .. لقد

أحسرتنى بأمرٍ ما يعلمه إلا نبي ..

فقالا له :

- لا يصرفك هذا الرجل عن دينك ، فإن دينك

خيرٌ من دينه ..

وانصرف رسول الله ﷺ ، في طريقه إلى مكة ، فأرسل
الله (تعالى) إليه ملك الجبال ، فقال له :
- إن الله (تعالى) قد أرسلني إليك فإن أمرتني أن أطبق
عليهم الأخشبين (وهما جبلان بمكة) فعلت ..
فرفض رسول الله ﷺ أن يوقع الأذى بأهل مكة ، وقال
لملك الجبال :



- « لعلَّ الله أن يخرج من أصلابهم من يعبدُه ،

ولا يشرك به شيئاً » ..

ثم دعا بقوله :

- « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » ..

وفي طريقه إلى مكة نزل رسول الله ﷺ بنخلة ،
وقام بالليل يصلي ، فصرف الله (تعالى) إليه نفراً
من الجن يستمعون إليه ، وهو يقرأ القرآن ، فأمنوا به ،
ولم يشعروا رسول الله ﷺ حتى نزل عليه الوحي
بالقرآن ، فأخبره الله (تعالى) بذلك ..

وأقام ﷺ بتلك النخلة عدة أيام ، فلما أراد الرحيل
إلى مكة ، قال له زيد بن حارثة :

- كيف تدخل على قريش مكة وقد آذوك وأخرجوك ؟

فقال ﷺ :

- « يا زيد ، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً ،

وإن الله ناصر دينه ، ومظهر نبيه » ..

فلما وصل رسول الله ﷺ إلى مشارف مكة ، أُرْسِلَ رجُلًا
مِنْ خُزَاعَةٍ إِلَى الْمُطْعَمِ بْنِ عَدِيٍّ ، طَالِبًا مِنْهُ أَنْ يَدْخُلَ فِي
جَوَارِهِ ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ الْمُطْعَمُ بْنُ عَدِيٍّ أَنَّهُ وَافَقَ عَلَى أَنْ
يَجِيرَهُ ..



ثم دعا المَطْعَمَ بَنِيهِ وقومه ، وقال لهم :

- البسوا السلاح ، وكونوا عند أركان الكعبة ؛

لحماية محمد بن عبد الله ، فإنني قد أجزته ..

ودخل رسول الله ﷺ مكة في جوار المَطْعَمِ بن عدي ،

فطاف بالكعبة ، وصلى ركعتين لله ، ثم انصرف إلى

بيته ، والمَطْعَمُ بن عدي وولده محيطون به بالسلاح ،

يحمونه من قريش ، حتى دخل بيته ..

(يتبع)

رقم الإخراج : ٢٠٠٣/٧٢ - ٤

الترقيم العربي : ١٧٧ - ٢٢٦ - ٤٥٧

فصل الأنبياء

الكتاب التالي

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(١٦)

الإسراء والمعراج

● احرص على اقتنائه ●